

صدي احلامي

جميلة العلايلي

تصديق

عرفتُ الأديبةَ الشاعرةَ صاحبةَ هذا الديوان في فجر (أبوللو)،
فقدَّرتُ كما قدَّرَ غيري من الزملاءِ سماحةَ نفسها وشاعريةَ
خواطرها ورفعةَ مثاليِّتها وصدقَ وطنيِّتها ولحظتُ بسرور
شجاعتهَا الأدبيةَ وبُعدهَا عن التصنُّعِ والخيلاءِ وافتتاتها
بأحلامها الرومانطيقيةَ كافتتاتها بمعاني الواجب نحو أسرتها
ووطنها وخاصةً نحو والدتها الرؤوم التي تحبُّها حبًّا لا مزيد
عليه، وإليها أهدت صدي أحلامها في هذا الديوان الجميل .
لهذه المواهب والصفات أعزنا كلنا جميلة العلايلي الشاعرة
الخيالية والقصصية المثالية، وكان في مقدمتنا إنصافاً لها
وتنويهاً بأدبها أستاذنا الجليل خليل مطران.
ولقد مرت السنواتُ وصاحبةُ هذا الشعر تصعدُ علي سلمه فكراً
وخيالاً، جامعةً بين براعة الشعر المنثور وإجادة الشعر

المنظوم، وهي هي بأخلاقها العالية ونفسها الوديعة، وإن
اعتزت بمثالياتها وسخطت علي بيئتها وساورتها ألوان من
القلق الوجداني والاضطراب العاطفي الذي أجادت تصويره في
أساليبها القصصية المخلصة المترفعة عن التصنع والرياء .
تقول ماري استيرجن في كتابها الموسوم "دراسات لشعراء
معاصرين"

(Studies Of Contemporary Poets) إنَّ الشعر يحتاج
إلي أمنٍ ودعةٍ ليبلغ أوجهه، وهذا رأيٌ لا أتفق معه تماما. وقد
ذكرت هذه العبارة في معرض كلامها عن النساء الشواعر في
انجلترا إبان الحرب العالمية وإثرها. وأمامي في هذا الديوان
الذي خلقتهُ شاعريةٌ صاحبتَه في ظروف مضطربة، سواء
للوطن الذي تعيش فيه أو لذاتها التي احتملت في شجاعة
عواقب تفكيرها الوطني ووفديتها حينما لم تسلم من هذه
العواقب حتى السيِّدات المعلمات – أمامي في هذا الديوان
الشواهد الكافية علي أنَّ إجادتها الفنية اقترنت بشدة تألمها إذ
كانت في حرب طاحنة مع بيئتها القاسية الغاشمة .

ولكى نقدّر جميلة العلايلي التقديرَ الذي تستحقّه مواهبها لا يجوز أن نغفل مقارنةً أديها بأدب الجيل السابق (1) فإننا حينئذ نجد الفارق شاسعاً بين المختار لوردة اليازجي وعائشة عصمت تيمور وأمينة نجيب وملك حفني ناصف مثلاً وبين مختار شعرها.

لقد كان شواغرُ الجيل السابق - علي قُربه منا - جدَّ حريصات علي وأد عواطفهنّ مراعاةً لقواعد الاحتشام المصطنع الذي كانت تحتمه البيئة، فكان محرماً عليهن شعر الوجدان الفطري، وكادت العاطفة الشعرية عندهنّ تحصر في الرثاء وفي تحية الأهل وتوديعهم وما إلي ذلك... ولكننا في هذا الشعر الجديد نلمح ثورةً جديدةً علي تلك التقاليد البالية، ونجد صاحبه كاشفةً في اطمئنانٍ وفي شجاعةٍ عن دخيلة نفسها في صدي أحلامها المنغومة.

إن أكرم ميزة لهذا الشعر بُعدُه عن الرياء فهو ترجمان صادقٌ لنفسية صاحبه، وهي إذا جاءت تحدّثنا عن "حب المحال" فهو

ماعهدناه منها ولاشي غيره. اسمع إلي هذه الأبيات الموسيقية
العذبة :

سَلْنِي مَلِيكَ عَوَاطِفِي الْمَحْبُوبَا
سَلْنِي عَنِ الْحُبِّ الْمَذِيبِ قَلُوبَا
حُبِّ "الْمَحَال" أَصَابَ مَعْقَلَ مَهْجَتِي
فَعَرَفْتُ فِيهِ الصَّفْوَةَ وَالتَّعْذِيبَا
يَا حَسْرَةً تُفْنِي مَنَاهِلَ رَغْبَتِي
يَا نَزْعَةً تُحْيِي الْفُؤَادَ طَرُوبَا
إِنِّي أَرَاهُ مَعَ الظَّلَامِ كَأَنَّهُ
طِيفٌ يَلُوحُ مَعَ الْحَيَاةِ غَرِيبَا
وَيَطُوفُ بِي شَجْوُ الْحَنِينِ كَأَنَّنِي
أَفْنَيْتُ عَمَرَ الْمَغْرَمِينَ نَحِيبَا

إلي آخر هذه الأبيات الصريحة البعيدة عن كل تصنع، وقد
ختمتها باعترافها بخالية هواها وافتتانها بالفنون في شخص
مَنْ تَوَدَّ إِذْ تَقُولُ:

لَوْ أَنَّ ذَاتَكَ مَا أَرُومُ وَأَبْتَغِي مِنْ كُلِّ قَلْبِي مَارْجُوتُ حَبِيبَا
لَكُنْنِي أَهْوِي الْفُنُونَ لِأَنَّهَا تُحْيَا بِمَشْكَاتِ الْخُلُودِ لَهِيْبَا

وأظلُّ أفتنُّ (بالمحال) لأنه روح الكمال، فهل عشقت عجبياً؟
وهذا الافتنانُ بالمحال، أو هذا الولوعُ بالتسامي البعيد، أو هذا
الشغفُ بالمثاليّات الخالية مُنبثٌّ في جميع شعرها. وهي في كل
ذلك متجاذبةٌ بين دوافع الغريزة وسماويةِ الفنون التي تجيد
منها الرسمَ والموسيقىَ والشعرَ، فاذا بالأخيرة تتغلب عليها
أضعاف ما تغلبت علي جورج صاند. وهذا التجاذب
والاضطراب ملحوظ في قصائد كثيرة من أجملها قصيدة "الحلم
الرائع" (ص 13) وقصيدة "عتاب" (ص 27)، وفي الأخيرة روح
من الأنوثة قلماً تجدها في الشعر النسائي، لأن ربّاته يقلدن
خطأ الرجال في أساليبهنّ حينما جميلة العلايلي أرسلت نفسها
علي سجيتها في جميع شعرها، وإن جاءت نماذج منه متميزة
لا بأنوثها فحسب بل بروحها المصرية أيضاً كما نري في
قصيدة "عتاب" المشار إليها .

* * *

أما شعرُ الألم في هذا الديوان فهو أقوى صورة سواء أكان
من شعر العاطفة السالفة المثال أم من غيره، كحنينها إلي

والدتها وكغضبتها لنفيها في أسوان وامتعضها لخذلان
المواهب في مصر خذلانا شائناً. وقصيدتها "إلي أمي" التي
استهلت بها الديوان بعد تحيه الميك هي جوهرة نفيسة متألفة
بنور بعد نور، وهي في الواقع قطعة مثالية في كل شيء:
بموضوعها الرفيع وديباجتها المشرقة وأخيلتها المجنحة وبما
فيها من ثورة النفس الكريمة المتعالية عن دنيا الأنام :

سأظلُّ أهزجُ للفنونِ سعيدةً

حتى يظلني بها الإلهامُ

وأنامُ عن دنيا الأنامِ فما بها

الإشقاءَ عارمٌ وخصام

ما في الحياةِ رغبةً أهفو لها

إلا وعقتني بها الأيامُ

فلأحى في الشعرِ الخصبِ جنابه

في حيث تطرق ساحتي الأحلامُ

فأري الوجودَ علي اختلافِ شخوصه

ملهى علي رغم الصراع يُرامُ

وفي قصيدتها الرائعة "علي شاطئ أسوان" (ص 51) التي مزجت فيها قدرتها التصويرية للطبيعة بمقدرتها الخالية المثالية وبراعتها في التصوير الوجداني نجد كذلك اشمئزازها من البيئة التي لم تعرف مواهبها ولم تنصفها قد بلغ درجة السخرية إلى حد قولها لنوتي من النوبيين:
هل تشتريني؟ لن أعالى في الرضى!
هيا تقدّم يا ملكي الشارى!

وفي هذا آية الاصغار من شأن المجتمع الغافل عن النابهين والنابهات، وإن صوّبت ذلك الإصغار إلى نفسها إثارةً للدهشة عن طريق هذه الإحالة الفنية.

وهي تفعل هذا بروح وطنية غيورة علي عزّة مصر التي لن تتحقق علي أكمل وجه ما دامت للمحسوبيات سوقها وما دام النبوغ يحارب ويضطهد بدل أن يُبحث عنه ويُنصف ويستغلّ لخير هذا الوطن العزيز ولخير الانسانية .

فليست آلامها آلاماً فردية فحسب، مثارها عواصفها أو تفكيرها الذاتي، وإنما هي كذلك آلام شعبية انعكست علي

صفحة نفسها الحساسة فأنطقتها بهذا الشعر السماوى الذي
ترجمت به عن اضطراب النفوس المثقفة أي اضطراب في ذلك
العهد البائد الذي برغم نوره البراق لم يعانِ الأدبُ والأدباءُ
الحلوكَةَ العامةَ والاضطهادَ كما كانوا يعانون فيه .

* * *

ولشاعرنا مقطوعات من الشعر الغنائي البحث أو
الغنائي الوصفى توحيه إليها طبيعتها الموسيقية
وبراعتها في هذا الفن أيضا مثل "الربيع" (ص 34) و
"الساحر" (ص 49). وقد تبدو تلك المقطوعات ساذجة
بسيطة، ولكن صاحبة الديوان في مجموع شعرها بعيدة
عن أن تكون سطحية التفكير بل هي عادة المتأمل
المرسلة أشعة تخيلها النافذة خلف المظاهر التي يُخدع
بها في الغالب جمهرة الناس، وهي في كل هذا سبابة
لسنها وتجاريبها، وكأنما تعتمد علي فراستها وذكائها.
أجل، هي الحائرة المسائلة عن أصل الوجود وغايته

وعن سر هذه الحياة، وهي بنفسها المجنحة في حكم
السجينة في هذه الدنيا (ص 9)، تثور تارة ثم تعود إلي
الاستسلام في كبرياء فتقول :

تركتُ نفسي طعمة الأقدارِ
ووهبتها ما كان من أوطارى
ومشيتُ أخطب في الشعابِ وحيدةً
في حيث تسلمني إلي الأخطارِ
ما لي ارتطمت بصخرها ووهادها
فغدوت كالظبي الضرير السارى ؟
ما لي شغفتُ بكلِّ ما هو متلفى
شغفَ الفراشة بالشعاع الوارى
أسري ولا أدري أسائرة إلي
دُنيا الظلام أم الظلامُ نَهاري !؟

وفي هذه الأبيات كثير غيرها نهاية الإفصاح عن نفسها
النورانية في تصوير بارع. وموشحها "إلي أين؟" (ص 70)
وكذلك قصيدتها "يأس وأمل" (ص 74) وقصيدتها "من وراء

القبور" (ص106) من نماذج شعرها الفلسفي الذي هتدت إليه
بالبصيرة وكأنما هي من تلاميذ آدم جوائز هوايت لصاحب
كتاب (ديانة العقل الحرّ The Religion of the Open Mind)
وهي علي قدر ما في نفسها من استعداد عظيم للتصوّف
الكوني والتفائل تتناوبها الشكوك والتشاؤم واللاأدرية فتصيح:

قد شجاني ما تعانيه الأناسُ
من عذابٍ وشقاءٍ ولغوبٍ
لهفَ نفسي ! أيُّ خير في انتكاسُ
أيُّ جدوى في حياةٍ كالندوب؟
شفني الحزنُ الذي غفّي الورى
وأحالَ الكونَ عندي كالقتامُ
كلما جلتُ بعيني كي أرى
لم أجدُ إلاّ ظلاماً في ظلام

وهذه صورة إنسانيتها العالية التي تأبي الإثرة ولا تشعر
بالسعادة الكاملة إذا كانت مقصورة عليها، وكلها إيمانٌ بمبدأ
المعرى :

ولو أني حُبَيْتُ الخُدَّ وحدي

لما آثرتُ بالخدِّ انفراداً

وتذكرني قصيدتها المشجبة "الطير الشاكي" بشعر كثير في
مناجاة الطير، ولكنها مستقلة في تناولها لا تفقد شخصيتها
وشعورها العميق بالألم من حياة الضجر التي فرضتها عليها
البيئة الغافلة. خذ مثلاً أبيات أمينة نجيب في مناجاة
"العصفور":

إمْرَحْ صغيرَ الطيورِ واقفزْ هنا ! لا تُبالِ !

إنَّا نعدُّكَ منَّا بل واحدَ الأطفالِ !

كم وثبةٍ لك كانت تحيةً للجمالِ

عبَّرتَ فيها فصيحاً عن حُبِّكَ المتعالي

كما شدوتَ بلحنٍ من روح هذا الجمالِ

ونحن والله نهدي بالشعرِ أو بالمقالِ

فهذه الأبيات تنم عن فرحة بالعصفور نجدها في شعر كثير

ولكنها تشف عن أصالة في معانيها. ومثل هذا يقال عن

قصيدة صاحبة هذا الديوان اللهم إلا في إحلال التشاؤم محل

الفرحة، أو علي الأصحّ تبدو عليها مسحة الحزن والتماس
العزاء إذ تقول(ص66) :

غني يا طير واجهر بالنعمة
واشد يا طير بمكنون الألم
واسكب الألحان في أذن الفضا
عل في اللحن دواء للسقم
عل في اللحن نوالا للمني
عل في اللحن شفاء للضرم
أنت ملك الفن يا طير الربى
أنت نور الحق في داجي الظلم
فارشد الفنان يا طير الهوى
في المغاني والأمانى والنعمة
أيها الفنان لا تصمت ولا
تشرب الأحزان من كأس الألم
أيها الفنان إني في الورى
أسمع الصم ولا أدري الصمم

وهكذا تستطيع الشاعرة الأصيلة أن تتناول موضوعا مطروقا
في نسق جديد ومن ناحية تظهر فيها شخصيتها ومزاجها
الخاص .

وبالرغم مما تبديه شاعرتنا من الشكوك واللاأدرية والحيرة
واللهفة والمناجاة والأمل الخائب ومن خواطر الوحدة الهائمة
فانها في قرارة نفسها عظيمة التدين متينة الثقة بالعبادة
الآلهية التي تتراءى في قوي الخير المنظمة للوجود والتي
يستحيل أن ترضي بطغيان الشر. ويعجبني من هذا الشعر
الديني الجميل قولها :

شكوت إلي إلهي سوء حظي وما ألقاه من ماضي النضال

فقال : إلي واعتصمي بظلي
فعندي الخلد ممنوع المثال
وعندي كل ما ترجوه عين
وما تصبو إليه من الجمال
وعندي ما اشتهيت من الأمانى
وما أملت من كرم النوال
وعندي من نعيمك كل ضاف
وعندي من فنونك كل غال !

ولكن أكثر أسباب مواساتها مما تلتمسه من خالها وحده، وهو
خيال جامع بعيد الآفاق:

يا خيالي أنت لي خير رفيق
يا خيالي أنت لي البر الحذب
يا خيالي أنت لي خير صديق
إن يكن عز الصديق المرتقب

وقصيدتها الهائلة (ص 56) هي من الصور الفنية الكبرى
لشاعرتنا المبدعة، وقد جمعت الكثير من الوصف الرمزي
ومن التصوير القصصي وتشكلت بألوان من العاطفة والفلسفة
. استمع مثلاً إلي قولها :

هذي القوافل قد تهادت في طريق الصحراء
تسري كأبناء الطبيعة عشاها ذاك الخلاء
كم رياح قد رمتهم في يمين أو شمال !
كم من رياح قذفتهم في صعيد أو تلال
وتصدع الصخر المكمل للوهاد و للبطاح
وتجاوبت معه الرياح لحن مستباح
يا صخر مالك قد وقفت وقد تغيرت الجواء
أتراك زهر الخلد يطلع هاهنا يحكي السناء ؟
حين المياه تجاوبت أصدائها ملء الخريز
هذه حصونك يا رمال وديعة الرب القدير
ثم الرياح تجاوبت كالرجع في جوف الفضاء

فأفاقت الدنيا علي نغم تشعب في السماء !

إن جميلة العلايلي شاعرة منجبة فياضة، وعلي هذا كثير ما نصحتها بالتريث وبالتركيز لشعرها . وقد أنزلت نصيحتي المخاصة منزلة اعتبارها، فهي شديدة العناية بمراجعة قريضها وبتنقيحه وصقله، دون أن يتعارض ذلك ثقتها بفنها . وكان لهذا النقد الذاتي لشعرها أثر حميد في تقدم فنها بخطوات واسعة تتجلي آثارها في هذا الديوان البديع الذي لا أعده أكثر من مقدمة لا حسانها الأتم في مقبل السنين .

يقول شوبنهاور في كتابه فن الأدب The Art of

Literature إن الأسلوب سيماء الذهن، وإنه أصدق دلالة

علي الخلق من الوجه، وإن التقليد لأسلوب إنسان آخر هو

مثل لبس القناع الذي مهما يكن متقنا فانه لن يمر وقت طويل

دون أن يثير اشمئزازنا ومقتنا بسبب تجرده من الحياة، إذ أن أكثر الوجوه الحية قبحا هي أفضل منه !

وجميلة العلايلي بعيدة عن المحاكاة في الأسلوب وفي المعاني، فنفسها ينبوع زاخر بالشاعرية . والملحوظ أن لها أكثر من أسلوب، وهذا أمر طبيعي يتبع حالاتها النفسية :فلها الجزل المتين في شعرها المدرسي الصارخ بالشكوى والألم والهاتف بالأوصاف الطبيعية التي تجيدها، ولها شعر الحنين العذب في موقف العتاب العاطفي، ولها الرقيق السهل في الغنائيات، ولها السلس الكلامي في الشعر القصصي، وإن كان معظمة مقصورا علي ما يشغل بال الفتاة من أمانيتها الضائعة إزاء غدر الرجال . أما شعرها المنثور فقد اشتهرت به تنشر منه في هذا الديوان سوي نموذجين وهما "صدي أحلامي" (ص131) و"أتمني" (ص135).

وقد أخرجت النهضة الشعرية الحديثة في مصر إلي جانب صاحبة هذا الديوان من الشواعر نبوية موسى و سهير القلماوى ورباب الكاظمي وحكمت شبارة وإجلال حافظ

وغيرهن، ولكن جميلة أكثرهن إنتاجا وترويضاً لشاعريتها .
وقد ساعد جميلة علي نضوج فنها الشعري اشتراك مشاعرها
في ملكات أخرى فنية كالموسيقي والتصوير والتطريز، فعاونت
علي إرهاف حسها وأخرجت لنا هذا الشعر الذي يسبق بمراحل
شعر الجبل الماضي لبنات جنسها في مصر .

ولا أقول إن جميلة العلايلي قد بلغت منزلة أنا وكهام، أو
هيلين باري إيدن، أو إيدث ستويل، ولكن منزلتها الذاتية مع
ذلك لها اعتبارها في الشعر النسائي الحديث، مع أنها لاتزال
في مطلع شبابها . ومواهبها الفنية كفيلة علي مر الزمن بأن
تزيد مكانتها الأدبية تألقاً وسموا وأن تكسبها وتكسبنا فخراً
جديد بما تغنمه من فتح جديد،،

أحمد زكي أبو ساهي

الإسكندرية في 28 أغسطس سنة 1936

تحية الفاروق

يا مليكاً قد رأى الناسُ له

كلَّ نبلٍ فاق نبلَ الأولينُ

يا مليكاً جمَعَ الشعبَ على

حبه - بوركتَ خيرَ المالكينُ

يا مثلاً للرجالِ الآلى

بهروا الدنيا وهزّوا العالمينُ

أنتَ زهرٌ وعبيرٌ عاظرٌ

وعبيرُ الزهرِ بالزهرِ رهينُ

قد أخذنا اليومَ عهداً خالداً

أنا نبقى الجنودَ المخلصينُ !

إلى أُمِّي

وقضى زمانى بالفراق تعسفاً
ما للقضاء ؟ أدأبه الإرغامُ؟
وأرى الحياةَ بغير وجهك قفرةً
فالعينُ تذرفُ والهمومُ جسامُ
وأرى الليالى موحشاتٍ جهمةً
سيان عندى الضوءُ والاضلالُ
ياأمّ! لا تبكى الفراق ولا النوى
فلسوف تجمعنى بك الأيامُ
أيروم قلبك أن يحطمه الضنى
وله أعيش وتعذبُ الآلامُ؟
ياأم ما الدنيا حياتى إن خلت

من قلبك الحانى؟ لذاك حرام
أترى حسبت الحقَّ ينصف نفسه
والناس فى دنيا الشرور نيام
أترى ظننت مآل حظى فى يدى
أبدأً لعمرى، فالحيأة .. درامُ
لا تحسبى كلَّ القلوب بريئةً
فلكم قلوبٍ دأبها الإلامُ
من لى بقاض منصف فى حكمه
فالظلم يرتع والسلامُ يضامُ
لهفى على الأم الحنون من الضنى
ومن الهموم كأنهنَّ ضرامُ
لهفى على الكنف الظليل مضت به
ريحُ الخريف فعاد وهو حطام
سأظل أهزج للفنون سعيدة
حتى يظللنى بها الإلهام
وأنام عن الدنيا الأنام فما بها

إلإشقاء عارم وخصام
مافى الحياة رغبية أهفو لها
إلإوعقتنى بها الأيام
فلأحى فى الشعر الخصيب جنا به
فى حيث تطرق ساحتى الأحلام
فأرى الوجود على اختلاف شخوصه
ملهى - على رغم الصراع يرام

حب المحال

سانى مليك عواطفى المحبوبا
سنلى عن الحب المذيب قلوبا
حب "المحال" أصاب معقل مهجتى
فعرفته فيه الصفو والتعديبا
ياحسرة تفنى مناغل رغبتى
يانزعة تحي الفؤاد طروبا
إنى أراه مع الظلام كأنه
طيف يايوح مع الحياة غريبا
ويطوف بى شجو الحنين كأننى
أفانيت عمر المغرمين نحيبا
لو أن أحزانى تطيع مدامعى

لرأيت دمعى فى القريض صبببا
لو أن بحر الحب يأخذ مسرفاً
ماء المدامع ما شكوت سكوبا
لو أن ذاتك ما أروم وأبتغى
من كل قلب ما رجوت حبيببا
لكننى أهوى الفنون لأنها
تحيا بمشكاة الخلود لهيببا
وأظل أفتن بالمحال أنه
روح الكمال فهل عشقت عجبببا؟

الحيرة

أهيم	بروحى	وراء الغيوم
لأكشف	سر	النجوم
وأهزج	عمرى	يروم
حياة	الصفاء	الأمل

شدوت	كطير	يحب	الرسوم
يود	الحياة	فيلقى	الهموم
ويرجو	الصفاء	فيجنى	الموم
سموم	تدك	متون	الجبل

السجينة

وتركت نفسى طعمة الأقدار
ووهبتها ما كان من أوطارى
ومشيت أخطب فى الشعاب وحيدة
فى حيث تسلمى إلى الأخطار
مالى ارتطمت بصخرها ووهادها
فغدوت كالضبى الضرير السارى
مالى شغفت بكل ما هو متلفى
شغف الفراشة بالشعاع الوارى
أسرى ولا أدرى أسائرة إلى
دنيا الظلام أم الظلام نهارى

* * *

مأوى ما بين الخيال وتارة

بين الجمال على الربى المعطار
ومشيت فى يوم عبوس هادىء
وحدى أناجى روعة الأسفار
وبدالى الوحي المنور وجهه
وعليه أطياف من الأسحار
ناديته فاستوقفنى نظرة
حوت الفنون ومنتعة الأنظار
وسمعته والصبح يعدو نوه
والكون ملتفع بثوب نارى :
أنت السجينة- كيف ترجين المنى
فى ظل شعب عاش رهن إيسار
أيهون عندك أن يصورك الورى
فى شبه فاتنة بغير دثار؟
تلك الحياة تريك طابع سحرها
متافعا بالقبح والأوضار
حلقت نفوس الشر قبل زماننا

يالهدف نفسى من دنا الأشرار !
فى ظل سجنك ياصغيرة سجلى
صور الحياة بريشة الأسفار
هذى هى الدنيا فعيشى بينها
كيما ترين غرائب الأسرار
من نال سر الغيب أدرك حظه
ولعل حظك لي بالمتوارى
ولعله حظك سوف تشرق شمسه
ما دام فى وسع القضاء الجارى
قضت الحياة بأن أجئ إلى الورى
وقضى الورى ألا أقر بدارى
فرغبت عن دنيا الأنام فما بها
من كل مندية وكل صغار
ومشيت فى دنيا الأمانى أنبغى
حظ السعيدة بعد طول عثار
فاذا الأمانى العذاب خوادع

وإذا هموم النفس جد كثار

عجباً أسجن هاهنا فى خلوة

وسواى يحيا فى دنى الأحرار

فيلهو ويمرح ما يشاء منعما

وانا سجينه هاته الأغرار

الحلم السرائع

(صحت من نومها وعلي وجهها سمات البشر والطلاقة، وفي عينيها التمتع الإحساس العميق البهيج، وبادرتني بصوت من فرط ما به من رنات الفرحة يبدو كمنغصات العود ليلة سعيدة قضيتها ... قلت : ما وراء هاته الليلة ؟

فقصت علي رؤياها وهي تحاول أن تطيل في الرواية كأني في ذلك مسرة ومرتعة ...

قلت : إذن حسبك ذاك الخيال الهنيء يا صديقي

وجميل أن تمنحك الأحلام ما تبخل به الحياة عليك، فتفاءلي

خيرا، ومن يدري ؟ فقد تكون هاته الرؤيا فاتحة لحياة سعيدة

تبتغيها)

غفت العيون تهيأت لنام
وجرت عليها نسمة الأحلام
مرت عليها في رفيف عاطر
تهفو فتخمد لاعج الآلام
وتظل تبعث من أفويق الشذا
سحرا يريك روائع الإلهام
سكرت فلم تدرك من الليل سوي
ذاك الحنان كخمر قلب ظامى
فالروح سكري بالخيال وقلبها
وجد المنى في مهبط الأحلام

* * *

باتت تطوف بها الأمانى جحفلا
وتذود من عنت ومن آلام
وقفت علي شط الحياة وحيدة
ترنو بقلب طاهر بسام
فتري الخلائق - والهموم تحفها -

نشوي تشير بضجة وزحام
نشوي بسم الدهر لم يرفق بهم
أبدا ولم يسكن بهم بسلام
وتري الكوارث قد تدافع سيلها
فيهولها ذاك الردى المترامي
وتود لو تفدي الحيارى نفسها
والروح تهفو خلف كل غمام
ولكل فرد في الوجود غمامة
هي صورة القلب الحزين الدامي
عصفت عليها الحادثات فأشرقت
إذ لا تراع ولا تني لمام

في موهن الليل البهيم وقد أتى
في شبه طيف رائع بسام
فتخيلته ملك حب يرتجي

قد جاء يكشف عن مني وغرام
صمت يلج به ويحبس شدوه
والصمت فن الحب والأنغام
حب يلج به ويخفي ناره
يرنو كطير ساهم وحمام
ورقاء قامت تستجيب لإلفها
هتفت بها أنفاس سحر سامي
مالت علي غصن تثني تحتها
يحنو إليها في حنين الزامى
وتناوحت بين المحبة والأسى
أملا يتيه ببسمة وسلام

* * *

وتألف الصبح المنور وجهه
فتذكرت ما كان في الأحلام
قالت لروح لم تزل تهفو له
ويحي من الآمال والآلام

كم قد حبيت برؤية محبوبة
والليل يغمر كوننا بظلام
في عالم الخلد الجميل رأيته
كالوحي يسطع في غريب ظلام
بتنا كروح واحد متلاصق
فعرفت طهر تلاقق الأجسام
وسرحت ثمة في نعيم جناته
ورشفت من فيه رحيق غرامي
وتأود الطيف الجميل بأذرع
فرحمته من حرقتي وضرامي
قد ظل يرشف من رحيق غرامه
وظللت أرشف من رحيق غرامي
وصحوت من نومي علي صوت دوي
فاذا خيالي كالسراب أمامي
ورأيت رؤيا لم أكن لأشيمها
وهفت عليها نسمة الأحلام

صدي أنفاس

مالت علي قيثارها ألحاني
كالطير إذ يحنو علي الأغصان
راحت تغني في هدوء ساحر
وكأنها تحكي صدي أشجاني
هاتي أغاريد الحياة ورجعي
حسبي خلاصة هاته الألحان
فأنا الضحية فوق مسرح عالم
تبدو الأمانى فيه غير أمانى
وإذا الحياة كظلمة لا تنقضي
وإذا الممات نهارها المتداني

تحية القمر

مرحي - أيا قمري الجميل
يا صفحة الحسن الأصيل
يا لوحة الغيب الموشي
بالجلال المستحيل
هل في ضيائك شعلة
لتكون براءا للملول
تهب الحياة لراغب
في الشعر والفن الجميل
تهب الصفاء لطالب
ولسوف يعطيك البديل
من كل نبع ترتجى
ولو انه النبع القليل

نبت من النفس التي
هامت بحب المستحيل
فابعث شعاعك هاديا
فلأنت للفن الدليل
وانشر ضياء الخلد في
دنيا الغروب وفي الأصيل
وافتح رتاج الغيب من
قفر يضل به السبيل
واسكب ضياءك في القلوب
لعله يروي الغليل

؟ . . .

تبكي الحياةُ فما لها ؟
! أتري تحسّ مآلها !
خلق الإله قضاءها
! لغز الوجود ، فيا لها !
أقضي نهاري طيها
أسعي أروم جمالها
في الليل أرقب نجمها
و وهادها وتلالها
ونجادها ورياضها
وبحارها وجمالها
وأظل أجهل شأنها
وأظل أسأل : ما لها !؟

الحسنة البائسة

(لقيتها في الخلاء تسير وحدها كالشريد، وفي هدوء تتساقط
من عينها دموع الحزن الدفين . ولما ترفقت بها وكشفت لها
عن رغبتني في مساعدتها لأسري عن نفسها حدثتني حديث
نفسها المغبونة وشرحت لي قصة حظها العاثر . فاليها أهدي
هذه القصيدة لأنها منها)

إيه فتاتي ! كنت عنوان الطهارة والسناء
تهدين أحلي البرء للقلب المضرج بالشقاء
ما للزمان قسا عليك وأنت في وكر أمين
بين الرفاق وبين أهلك والأقارب تنعمين ؟
يا هل تري جف المعين من القلوب الراحمة
أم هل تري ملئ المعين من القلوب الظالمة؟

كم من صديق كان يرجو ثم خانك ذا الصديق
من بعد أن صادفته وصحبته طول الطريق
قد أعلن الدهر خفاياه فأضحى في افتتاح
يا بئس من أودعت شرك في حماه المستاح !

* * *

إن الحياة ضئيلة بالخير يا هذي الفتاة
بحر تعكر بالخلاتق، رجع لجتة الشكاة
وعلي شواطئه القلوب تئن من جرح أليم
تبكي العيون بكاء قلب خانه الحظ الوسيم
بعض يفتش عن رفيق كي يعيش مع الرفيق
والبعض يمضي فوق سطح الأرض في لهو
طليق

البعض يهزج عند زهر الروض باللحن الجميل
والبعض لا يرجو سوي ري يميت به الغليل
وإذا السحاب وقد تلبد بالغيوم وبالرعود

والقدر يفتح جوفه والبنت تقذف للوقود
والدهر يسخر والرجال كأنهم رسل الحمام
والمد يطغي فوق شطآن الحياة والانتقام

* * *

يا دهر حسبك قسوة واعطف علي ذات الجمال
تلك التي تهب الحياة من الملاحظة والكمال
بالأمس كم صب رأيناه لديها ينحني
واليوم أصبحت الخلائق عن سناها تنتهي
طلعت عليهم في الصباح كأنها الرب الجديد
رب المباهج والمفاتن والعواطف والقصيد
هذا الإله وكيف ينكره غشوم ملحد
ولكم تهاوي العابدون إليه كي يتزودوا
فتكاثفوا حول الآله وقد ترنمت الشفاه
حتى إذا منه ارتووا تركوا الضراعة والصلاة !

* * *

يا دهر مجد روحها فلروحها سر الفنون
قهرت قوي المتطفلين وكلهم أهل الجنون
يا ليت حظك يا فتاتي قد تجلي في السماء
أوليت قلبك يا فتاتي ما رأي ذاك الدهاء
لظلت عمرك في حراسة ذي القلوب الراحمة
وتحار بين الظلم في هذي النفوس الغاشمة
وتنزل تدوي في المعالم والحياة الخاوية
نغمات موسيقي تذوب لها القلوب القاسية
وتدوم أطياف الأنوثة في بهاء السؤدد
فتهيئ الجو المعطر بالأريج المسعد

* * *

يا دهر تلك خواطر جياشة متناثرة
كلفائف الأوراق في ريح الخريف العابره

طورا تجمع إن ونت عنها أفاعيل الرياح
أما إذا أخت عليها في حمي السطو المباح
فهي الأسيفة إذ رماها ذلك الدهر الغشوم
عند الصحاري في مهب الريح تعبر بالركوم
وتظل تهوي في الحفائر كالرمال الحائرة
طورا وطورا تعتلي نحو الغيوم السائرة !

عتاب

(أعرف الشاعر وأعرف حبيبته، وكنت أعتقد أن حبه مثل الحب
الصادق السامي الأكيد، ولكنه ملها واجتواها،
وراح يلهو كما يحلو له كالطائر المتنقل . وهي باتت لا تعرف
في حياتها غير دموعها تذرفها علي ذاك الحب الذي مات وهو
وليد . خرجت دموعها من قلبها فتلقينها بقلبي : بكت دمعاً
فبكيت لها شعراً)

أترى نسيت عواطفى يا هاجر
أترى صددت عن الهوى يا شاعر
كيف انكفأت إلي مغان جمّة
ونسيت حظي في الجمال الزاهر
كيف انثيت إلي الرياض لتجتني
زاهراً يرف بغير روح عاطر

ونسيت أن الروض يکنفه الأسی
ونسيت أن الحب ليس لحاذر
ونسيت من وهبت إليك فؤادها
ونسيت من ركبت إليك مخاطر
ونسيت من بذلت إليك ودادها
ونسيت وجدي والجوي يا هاجر
أبدا يناجيك الفؤاد ، وليته
يجد العزاء عن الحبيب الشاعر
ومضيت تلهو بالقلوب وحظها
وتروح تعبت بالهوى وتخاطر
أو لم أصر مما أقاسي في الهوى
كالزهر في يوم عبوس ماطر
أو هكذا ينسي الفؤاد أليفه ؟
أو هكذا يجفو الفؤاد السادر
أو هكذا تنسي العطوفة في الهوى
وتروح تمرح في الدنا وتفاجر ؟

يا هل تري تلك الخلائق تستوي

في القدر أم في الحب أم تتآزر ؟

أترى نسيت عواظفي يا هاجر

أترى صددت عن الهوى يا شاعر ؟

ونسيت وحيك في قصائد جمة

ونسيت قلبا كالمهيض الطائر ؟

ونسيت حبي قد تسامي وحيه

ونسيت عهدي للهوى يا جائر ؟

ونسيت أنا قد صعدا مرة

نحو السماء ونحو خلد باهر ؟

أفهلذا تنسي وتمرح سادرا

يل لهف نفسي من فؤاد السادر

يال لهف نفسي من فؤاد جائر

أبدا أحن لقربه وأبادر

أبدا أحن إلي مودته التي

أهفو إليها كالحمام الطائر

أترى يزول الحب في عهد الصبا
أم هل يحن لي الأليف الهاجر
يا قلب هل لك عن حبيبك زاجر
أم أنت راع للوداد وصابر ؟
قد كنت أحسب أنني بعد الهوى
أجد الهناءة من حبيبي الشاعر
والقلب من ذكري حبيبي موجد
والعين غائمة بدمع طافر
ليتني في البعد أصبح طائرا
فيرف حولك في الصباح الباكر !
ليتني قد كنت زهرة نرجس
تحنو عليها لاثما وتبادر !
تفوح عطرا كالسلاف المشتهي
وتجمل الروض النضيد الزاهر
حتام تلهو في هواك تمنعا
وتروح تكتم الهوى وتغاير ؟

وعلام تمرح في التجني سادرا
وعليك نجم الفكر راع ساهر ؟
وإلام تلعب بالغواني لاهيا
أتراك تعبت راضيا يا ساحر ؟
لا تحسب الروح المبطن بالهوى
يرويه قلب الخليقة غادر
لا تحسب القلب المغذي بالهوى
يرضي بحب غير عات زاهر
لا تألف الصمت الممل فانه
يدوي الفؤاد وذاك حظ العاثر
فلعل صمتك شبه هدنة شاعر
وغدا تمر شجون حب فاتر
ولعل قلبك يستكن لوحيه
والي تعدو كالنسيم الساحر
غفر الفؤاد لك الذنوب بأسرها
قتعال كالحلیم الرفيف الطائر

يا من أحب زمن أعز ، وإني
لأحبه حب الملاك الطاهر

إلى ناسية

يا	ويح	قلبي	يا	بي
وإن	بعدت	بأن	يجاريك	صدا
		فأني		
		بالبعد	أزداد	ودا
وأنت	أنت	رجائي		
	قربت	أم زدت	بعدا	
فواصلتي	الكتب	إني		
	أشم	كتبك	وردا	
أري حديثك	عذبا			
	كان	في	اللفظ	شهدا
حديثك	الشهد	لكن		
	أراه	أع	ذنب	وردا

الربيع

تأرجح في الجو ورد الربيع
ونادت ملائكة في الهجوع
وتاهت بحسن الجمال الولوع
ورف عليها الأليف الولوع
وهبت نسائم تحيي الموات
وتأسو الجوانح بين الضلوع
وقال الربيع : أنا ابن الحياة !
وقال النسيم : أنا ابن الربيع
وباحت ورود بسر الشذا
وحن إليها حبيب جزوع
حنين الوليد لأم رءوم
يقبل فاهها بروح الخشوع

أمل

دموعي ترف وقلبي يزوب
ألا من أليف يداوي السقم ؟
ألا من أليف ربيب الوفاء
صديق حبيب ينير الظلم
ويبعث في شعاع المنى
ويرفع عني قيود الألم
ويحنو علي كطير وديع
يغني وينشد حلو النغم
ويوحي إلي بسر الخلود
ويلهم قلبي الشجي النغم ؟

هبنى

يا حارس النبع إن الروح ظائمة
ماذا عليك إذارويت أنفاسي
ثار الوجيب بقلب مضه لهف
نحو الرياض ونحو الورد والآس
أني أطوف بروحي في الدنا أبدا
أري النسيم كروح العاطف الآسي
يحنو علي بلا بخل ولا وجل
يعطي الحياة باحسان وقسطاس
يا قلب حسبك هذا! لو ظفرت به
لصرت أسعد محسود من الناس!

أمنية فنانة

صاح صور لي تهاويل الرسم
صاح أسمعني أفانين النعم
صاح إني شفني طول الألم
من فؤاد عاش في رعي الذمم
وصبا القلب إلي ألف يفي
مثلما وفي أمين بالقسم
وفؤادي شفته الشوق إلي
كعبة الفن الرفيع المتبسم
طاف فيها ثم صلي ركعة
مثلما صلي نبي في الحرم
وهب الفنّ هواه وانثني
في سكونٍ والتياحِ وَصَرَمْ

أيها الفنان هيا نجتلي
ذاك فن الله موفور النعم
نطعم الزهر ونرعى في الربا
عند سفح التل أو فوق القمم
عند سفح التل نبني عشنا
من حواشي الزهر أو نبت الأجم
حيث لا واش يشي في حبا
أو ينير القول فينا والتهم
ثم فوق التل نمضي يومنا
في ارتشاف من شفاه تبتسم
في نعيم الخلد تسقينا المنى
ربة الحب فنسعى كالخدم
ثم نمضي نحو عرش في السما
بارك الحب عزيزا فحكم
نرسم الآمال والدنيا لنا

نبعث الأشعار نشوي بالحكم
ننظر الناس وقد ضاقت بهم
هاته الامواج في بحر الظلم
غير من آوي إلي سفح الهوى
لايري البؤس ولا يلقي السقم
وشعاع الحب يسري نحوهم
في أمان وسلام وكرم
وآلة الحب دوي صوته
دون عتب أو ملام أو ندم
ذاك نهر الخلد يجري ضافيا :
اشربوا ذاك الشراب المغتتم
وامنحوا المحروم عطفًا يرتجي
كي يجازي الكون برا ونعم !

الطير المهاجم

أليف يرتل فوق الشجر
غناء الطلاقة وقت السحر
يغني فيخلق حلو النغم
ويهتك حرمة هذي الظلم
يعاف القيود ويأبى الملل
ويحيي الحنين بنا والأمل
إلام تهيم عليك الفضاء
خلي الفؤاد جميل الغناء
هناك تحوم حيال الغيوم
كأنك ترجو صراع النجوم
هناك تسير طليق الجناح
طليق الغدو طليق الرواح

هناك تحلق فوق القيود
وتدرك سر الورى والوجود
فيا ليت شعري أتدري الحياة
بأنك تمك دنيا الفلاة
وكيف أباحت لطير وحيد
دوام الغناء بعذب النشيد
وتحبس عنا جمال الوجود
وتحجب عنا أمانى الخلود
فهذا يلاقي صراع القضاء
وذاك يلاقي قضاء الفناء
وثالث يحيا بقلب خلي
وآخر يحيا بروح رضى
وأنت تجوب نواحي السماء
تحارب عسف جيوش الفضاء
تعيش بدنيا النسيم العليل
تفتش عن مورد سلسبيل

وتخفق شوقا بشتى السحاب
وفي الجو خير الرفاق الصحاب
فيا ليتني مثل طير يهيم
يعيش ويحيا بدنيا النعيم

خاطرة

يا قلب رتل أغاني الحب في فرح
فالروح ترنو بطرف يزدهي تيتها
هامت فأحبت رسوما لا عداد لها
إني لأطلقها والله يحميها
طففت الحياة بقلب كله أمل
قلب يصول علي الدنيا وما فيها
طففت الحياة علي ضوء الفنون عسي
ألقي الكمال فأرضيه وأرضيها
جبت العوالم في صبح وفي غسق
لم أخش هذي الدنا تنزو نوازيها
ما ذا تقول إذن يا شاكيا أبدا
تشكو الحياة وما زلت ابن واديها؟
تشكو الحياة فتقضي العمر في عنت

هلا سكنت إلي نعمي أمانيتها؟

أنت الحياة — أجل — ليس الحياة سوي

روح تطوف وترسو عند باريها

هل الحياة سوي لغز ومشكلة

من الغموض تحاكي النفس تشبيها ؟

لغز يروم قرابين العقول علي

مذابح الفكر ، هل يا صاح تعطيها

* * *

إذا تقول إذن يا باحثا أبدا

في حل مشكلة هذي نواحيها؟

قد كان ما كان من سعي بلا أمل

والروح قد بلغت بأسا تراقبها

هذي الفنون ما زلت تعبدها

تعلو وتزهو وتنمو في معانيها

هذي العلوم بدت شتي متنوعة

لا الفكر يدري مداها أو مراميها
قد كان ما كان من جهد فلا جزع
دعوا المقادير تجري في مجاريها
في كل يوم أمان تزدهي تيتها
والدهر يضحك من قلب يناجيتها
يا دهر مهلا فطيب العيش في أمل
كالعطر للنفس يجلوها ويحييها
يا قلب رتل أهازيج المنى فرحا
عساك تشفي قلوبا عز آسيها

الروح الظامي،

ما بال قلبي لا يميل
وكانه القلب العليل ؟
لو كان غامر مرة
لعذرتة عذر المقييل
لكنه يشدو ويضطرب
في الشروق وفي الأصيل
يرنو هنا وهناك يخـ
شى أن يضل عن السبيل
يا قلب لا تخش الضلال
ولا العصي المستحيل
ماذا يضيرك لو رويت
ظلماء روح لا يميل ؟
ما دام حبك لا فحا

القليل	يطفئه	هيهات	
	مرة	جناحك	اخفض
الجليل	الوحي	ليضمك	
	عواطفي	بكل	قامر
البديل	يرضيك	ولسوف	
	ولا تقف	هناك	فتش
المثيل	يلاقيك	حتى	
	هنا	فيا	سعدت
الجميل	بالألف	الألف	فإذا
	فالقلوب	! وفتش	فتش
الدليل	عند	رهينة	

الساحر

غني	بالشعر	غن	
واملاً	تسعد	القلب	الكسير
واملاً	القلب	خيالا	
واملاً	من	شعاع	وعبير
أعطني	الروح	صفاء	
	أيها	الراوي	القدير
	بالقلب	شعرا	
أيها	إنه	روح ظهور	
	الشادي	بنفسي	
	شعرك	الحي	المنير
في	الروض	تاقت	
	عن	هوى	عال
		كبير	

	بلحن	ترجه	جئت
الضمير	إلهام	هو	
	حياة	الشعر	أنما
الكسير	القلب	لمني	

علي شاطي، أسوان

مهلا فهذي كعبة الأسرار
هي روعة الفن الجميل العاري !
الصخر تياه بفتنة حسنه
فوق الرمال وقد بدا كمنار
صبغته ألوان لشمس أسفرت
ومن الشعاع عليه شبه دثار
والموج يصخب ثم يهدأ ساكنا
والمد ناجي الشط في التيار
والسفن تعدو في سلام هادئ
والموج يلثم ثغرها المتواري
والريح تلعب بالشرع كأنها
طير يداعب صفحة الأنهار

والطير يسبح في الفضاء محلقا
يهوي أليفا من بني الأطيّار
حتى الصخور علي المياه تناثرت
وكانها روض من الأزهار
والظل يبعث في المياه مصورا
صور العذارى في أعف إزار

* * *

ومشيت أسمع ما ترامي في الصدى
فسمعت صوتا كالرنين الساري
وعدوت نحو الصوت أجري لهفة
أبغى الفرار ولات حين فرار
وجريت أبحث في الفضاء وأنتقي
عشا يكون كموئل متواري
فوق الرياح أو السحاب أو السماء
أو فوق أفق الكون والأقدار

أو فوق هام النجم أبغي سؤددا
حسبي من الدنيا كفاف نهار
حسبي من الدنيا حياة قفرة
حسبي من الدنيا بريق منار
إني لأحيا في الوجود كزهرة
يخفي شذاها عالم الأشرار
إني لأهزأ من قضاء جائر
جعل القتاد كنفخة الأزهار

* * *

ورأيت وجه الليل في نور الضحى
وسمعت صوتا كالرنين الساري
فعدوت أسرع نحوه في لهفة
علي أري سرا من الأسرار
فلمحت نوبيا يغني شاديا
كالطير يشدو في حمي الأشجار

فدنوت منه وقلت : دونك يا فتي

هل تشتريني في حمي الأحرار ؟

هل تشتريني ؟ لن أعالى في الرضى !

هيا تقدم يا مليكي الشاري !

تالله دنيا البحر أصفي معدنا

دنيا جباها الله كل فخار

فتمللم الصوت الشرود وقال : لا !

لا تجذبيني للسعير الوارى !

وإخاله ظن التلاعب رائدي

وإخاله ظن الرياء شعاري

ويئست من هذا الملول إذ اختفي

ورجعت رجعة حظي المنهار

حتى رأيت البدر يزهو ساطعا

فهدأت في نفسي وفي أفكاري

الهائمت

وحدى وقفت على الربا كالطير فى الليل البهيم
عشقَ الجمالَ فهمام فى الدنيا بأصداء النعيم
كم راح يخفق فى الفضاء كأنه ملكُ الفضاء
وعلى الغصون الحالمات تراه يحلم فى رجاء
كم راح فى غسق الليالى هائما بين الربى
يشدو بأنغام المحبة والسعادة والمنى
يشدو وحيدا فى ليالى الصيف باللحن الجميل
فإذا الوجود وما به مصغ إليه فى زهول

وإذا السماء وقد تبدت بالضياء وبالرواء
وتكشفت منها أفانين الحياة مع الصفاء

جاء الصباح وقد تبدي بالحياة وبالأمل
وتهافت الطير المطل علي الحقول بلا ملل
نشرت طيورُ الجو أجنحة النسيم الصافية
تهفو إلي حلو الأمانى في السماء العالية
لا تشتكي ألما ولا تخشى صراع الكائنات
الله أودع في دُناها كل أحلام الحياة

ومشيت وحدي في الطريق كأنني طير كسير
ضل الطريق فراح يبحث عن أليف أو عشير
يا نهر هبني من سلافك ... انني زهر الأقاح

خرجت به الأمواج من قلب الجنان إلي البطاح
أرنو إلي الأمواج تهزج في الصباح وفي المساء
وإلي الجداول تبعث السلوى وتودي بالعناء
وأنا الوحيدة في حمي هذا النُّهيرِ المستكين
أبكي علي رجع النّواح فما يرقّ ولا يلين
وكاننا أخوان قد حرما الأبوة في الصغر
يبكي بألحان الحياة وقد تلاشت في الحجر
فيهجنى هذا البكاء فأسكب الدمع السخين
في هيكل الفن المهيب وروعة الليل الحزين !

يا صاح إني خير من يحنو عليك فلا تخف
سيّان عندي من تبدّي بالقساوة أو عطف
ماذا تؤمل من زمان ظالم منذ القدم
تمضي السنون الجاريات كأنها سيل العرم (1)

تمضي ولا تبقي سوي أثر ضعيف في الرمال
ياويحها هانت وكانت شامخات كالجبال !
خفف نواحك يا نهير فليس يجديك النواح
وابعث الينارشفة تُشفي الكليم من الجراح !
واسلك سبيلك في الحياة كما شرعت ولا تني
واصدح بأنغام الخلي فإننا في مأمن !

يا نجم لا تحجب شعاعك إنّ أيامي حداد
عمر الطفولة قد تقضي في الصحارى والبوادر
وقضيت شطراً من حياتي في الرمال الهاجر
فابعث من الايحاء ما يحيي النفوس الشاعره
قالت لي الأفلاك إني قد علوت عن البشر
أهدي الطريد وقد أضلته المنايا والقدر
كم من أناس قد هديت من الشرور المستطره
وعلوت بالروح الكريم إلي الحياة المستنيره

فأووا إلي كفي وقد نسو الشقاوة والعذاب
وجدوا المحبة في ظلامي فاستراحوا للثواب !

هذي القوافل قد تهادت في طريق الصحراء
تسري كأبناء الطبيعة عشها ذاك الخلاء
كم رياحٍ قد رمتهم في يمين أو شمال !
كم من رياحٍ قذفتهم في صعيدٍ أو تلال
وتصدَّع الصخر المكلل للوهادِ وللبطاخ
وتجاوبت معه الرياحُ لكل لحنٍ مستباح
يا صخرُ مالكٍ قد وقفت وقد تغيرت الجواءُ
أتراك زهر الخلد يطع هاهنا يحكي السناء ؟
حين المياه تجاوبت أصدائها ملء الخيرِ
هذه حصونك يا رمالٍ وديعة الرب القديرِ
ثم الرياح تجاوبت كالرَّجَع في جوف الفضاء

فأفاقت الدنيا علي نغم تشعبَ في السماء !

إيه أيا ثمرَ الجنان تكشفتُ عنه الميأه
أتراك سرّ الفنّ يوحى بالبهاء وبالحيأه
لهفي علي هذي الصّخور بخلوة كالعابد
أخذت تناوئها أعاصيرُ القضاء الكائد
لهفي علي الجبل الوقور وقد تداعي صرحه
والنسف هتك كرامة الحصن العتيد وجرحه
لهفي علي الرمل المبعثر مثل ذرات الشعاع
تمضي تُناوئه الرياح بقسوة لا تُستطاع
لهفي علي الطير الشريد وقد تعرّ في خطاه
والشعر قد شمل الرمالَ كأنها دنيا الأساه
حتى الزوارق وهي تظفر كالطفولة في حبور

لم تشف قلباً ضجّ بالحرمان أو شك أن يثور

ياليلُ ما هذا الظلامُ الحالكُ المترصداً ؟
هل ذاك سجن قائمٌ أم ذاك باب يوصدُ ؟
أم ذاك قلب العالمين وقد تجلّ بالسوادِ
فشري الضلالة بالهدي وازورّ عن نهج الرشاد
حتى غدا والبحر يزدُ والرياح صواخب
والسفنُ تقدفها إلي صدر الضفاف رغائبُ
والناس في دنيا المطاعم يذهبون ويغدون
باعوا ضمائرهم بأسعار المهانة والمجون
أصخوا جياعا كالذئب أو الوحوش الضاربه
وتقاسموا اجثث الضحايا والمخالب داميه !

يا كنار

يا كنار الشعر هيا
ننشد اللحن الشجيا
ونبث الناس سرا
خافتا منا نجيا
ليس في الدنيا ولاء
يملاً القلب الفتيا
ويجاري الحق صدقا
وبهاءا سرمديا
تلك آيات التسامي
تحفظ العمر سميا
يا زهور الروض هيا
أخرجي العطر الشهيا

واسقني يا زهر عطرا
من فرات الخلد ريا
ها هنا يا زهر قلبي
قد طواه الدهر طيا
ما عراه شبه شيب
بل تري قلبا فتيا
لا يود الضعف حاشا
لا ولا الحب الدعا
ليت شعري ما لعيني
قد شواها الدمع شيا !؟
يا نسيم الصبح أقبل
وانشر النفح الزكيا
وامنح القلب صفاء
يخدم الفن الأبيا
إن لي روحا كبيرا
يعشق الحسن السنيا

يرفب الأفلاك ، يرفو
عندها روبا رذفا
يألف الناس جمفعا
وفبل العبقرفا !

الطير الشاكي

غني يا طير واجهر بالنعيم
واشد يا طير بمكنون الألم
واسكب الألحان في أذن الفضا
عل في اللحن دواء للسقم
عل في اللحن نوالا للمني
عل في اللحن شفاء للضرم
أنت ملك الفن يا طير الربى
أنت نور الحق في داجي الظلم
فارشد الفنان يا طير الهوى
في المغاني والأمانى والنعيم
أيها الفنان لا تصمت ولا
تشرب الأحزان من كأس الألم
أيها الفنان إني في الورى

أسمع الصم ولا أدري الصمم !
هاتها يا طير أنغام الهوى
من جنان الحب موفور النعم
هاتها يا طير ألحان المني
في نشيد رائق عذب النغم
شفني يا طير أن تختفي الضنى
وتواري الدمع أو تخفي الألم
أرسل الصيحة يحدوها المني
وابعث النشوة في مسري الهمم
كيف بت الليل يا طير الهوى ؟
كيف بت الليل تشكو في ضم ؟
إيه يا ليل الهوى أين المني ؟
أين من إن نمت عنه لم ينم ؟
أين من لج الهوى في قلبه ؟
أين من باح بحب أو كتم ؟
قد جفاك النوم فيمن قد جفا

وجفائك الصحب فيمن قد صرم

ذاك نجم الحب يهفو لامعا

أتراه ؟ أم ترأى في اللحم ؟

يبعث الأضواء في صدر الدجى

يرسل الأصداء في قلب النهم

طر بوحى الحب لا تخش الورى

واسم لا تنكص إذا ما الخطب طم

أنما يا طير أنت الحر في

عالم قد ضاق ذرعا بالأمم !

إلي أين .. ؟

نحن نمضي فالى أين المسير ؟

أين نمضي أيها الألف الصغير ؟

نحو روض زهره حلو نضير

وعيون ذات ماء وخرير

أم سعير ، بئس ذياك السعير !

في زفير ولهيب والنتياع ؟

أين نمضي يا غلام ؟

قد ضللنا في الركام !

أين نمضي يا ملك الحسن والروح الوسيم

قد ضللنا في ركام بين أطواء الجحيم !

ردد السؤل أليفي ومضي

يجهد السير حثيثا في رضي

والرياح الهوج تجتاز الفضاء
حيث تصلينا سهاما ركضا
شفها الدهر وأوراها الفضاء
في سكون واضطراب وانتزاع !
وتغشانا الضباب
فاحتجبنا بالهضاب
وتغشانا الضباب ، ثم أوفي للذرا
فاحتجبنا بالهضاب ، وهتفنا بالكرى !
أظلم الليل وغشانا الظلام
ورياح الليل تسفي بالرغام
والنجوم الزهر تمضي للمنام
متعبات هدها طول الزحام
فانزوت بحجبها عنا الغمام
كم ليال وهي في هذا الصراع !
كيف جننا للورى ؟
لم جننا للورى ؟

كيف جئنا للورى ، والهموم الداجيات ؟
لم جئنا للورى من قديم السنوات ؟
هاتف نادي من الأفق البعيد
اشربوا الدمع من النبع المديد
اقتلوا الحزن بقلب من حديد
ودعوا القيد لعشاق القيود
هاته الدنيا كحيران شريد
ضل في ياس قديما ثم ضاع !

يا أليفي قد ضلنا ، ذاك وادي التيه هيا
وسئنا وملنا ، فلنعش فيه سويا
هدنا حزن طويل وصراع
فلنقض العمر في هذي البقاع
حيث لا ظلم ولا سر يذاع
حيث لا قيد ولا حب يشاع
...وأخيرا حيث لا قلب يباع

إن نجد في تيهنا بعض الشعاع
فعلي الكون وما فيه الوداع !

يأس وأمل

لم أزل حيري بوادي الظلمات
ويح نفسي من أعاجيب الامل !
أدفن الأحزان في قبر الوات
أسكب الأشجان في طي العلل !
قد سمعت الطير يشدو ويبين
ورأيت البدر نورا كاملا
وسمعت الليل يشكو أنين
ونظرت الضوء يسري هائلا
قد سمعت الشاعر المسكين يشدو
في حنين ، وبكاء مستمر
ينظم الأشعار تمضي ثم تعدو
في فم الأكوان ، ترمي بالشرر
قد رأيت البائس المسكين يهفو

فوق آفاق المنايا والفتن

ليت شعري : أي فرد ليس يرجو

كل أمن من حياة كالمحن ؟

قد شجاني ما تعانيه الأناسي

من عذاب ، وشفاء ولغوب

لهف نفسي ! أيخير في انتكاس ؟

أي جدوى في حياة كالدوب ؟

شفني الحزن الذي غشني الورى

وأحال الكون عندي كالقتام

كلما جلت بعين كي أري

لم أجد إلاظلاما في ظلام

هذه الاكوان حيري كالطريد

كغزال هارب من صائد

نارة تخطو كما يخطو الوليد

ثم طورا كالغزال الشارد !

أيهذا اليوم ، يا من تفصل

بين عهدين : ظلام وضياء
أنت عندي تاج عز أنبل
لك عندي كل خير وولاء
سوف ننسي ما شعر بنا من كؤوس
سوف ننسي ما لقينا من عناء
سوف ننسي ما فقدنا من شمس
سوف نلقي ما افتقدنا من ضياء
سوف نرسو فوق شط من رمال
سوف نلهو عند موسيقي المياه
سوف نحظى بشذي تلك الظلال
سوف نلقي ما نرجى من حياه
سوف نسمو فوق أحلام البرايا
حيث نحيا في هدوء وابتسام
حيث ننجو من ملومات المنايا
ونري الدنيا علي ضوء السلام
سنظل العمر نشدو كالطيور

ونبيت الليل نرنو للنجوم
ونظل العمر نشدو في البكور
وسهام الدهر تمضي في الصميم !

الحب الأکید ولیل الأم

(شاعر أحب فأخفق، خرج إلى الحقول يروح عن أساه وهناك
وسط المروج ترامي إلي سمعه حوار عرف من اختلاف
نغماته أنه بين فتى وفتاة.....

الفتى يستهوئها بعذب حديثه والفتاة مأخوذة بسحر
منطقه، فأدرك أن العاطفة ربطت بين قلوبهما .

وشاء الشاعر أن يدرك حقيقة هذا الحب

أهو مستقر أم طائر ؟ وقد ألف هذه الصور العاطفية الطائرة
تمثل كل يوم وتسدل الستار الضحايا .

ومرت الأيام في طي الشهور والحبيبان يتلاقيان ويتناجيان
والشاعر يسمع ويتأمل.

وأخيرا سمع بدل الشجو شجنا ورأي الصبية وحيدة فأدرك أن
الحبيب ولي هاربا وأن الفتاة تبكي حظها العاثر وحبيبها الغادر
فتعطف عليها يواسيها فكلاهما في الهم سواء . وبعد لقاء
وحديث نما بينهما حب ولده الألم، وترعرع في كنف الحرمان
والعذاب ولكنه ظل خلدا)

المنظر الأول

الشاعر (سائرا بين الحقول متمهلا يرثي حبه الضائع)

أيها القلب الذي مل الهوى

طال والله إلي العليا حنينك

قد دفنت الحب لما أن هوي

فعلام اليوم قد طال أنينك ؟

خنتني يا دهر والقلب اكتوي

من لهيب النار شبتها يمينك

هأنا أهوى كذئب قد هوى

لست أدري ما الذي أخفي

جيبك!

(ينصت علي صوت الضمير ثم يقول)

أيها المحزون رفقا لا تهن

إن نار الحب برد وسلام

أنشد الشعر وعلمه الزمن

ليس الدنيا سوي الشعر كلام

أرسل الشجو ولا تخش الوهن

ليس يخشى الضعف أرباب الغرام

طر كما شئت علي أي فنن

خالد فوق المنايا والحمام!

(ينتبه الشاعر)

صوت ترامي في الدجي

جن لعمرى أم بشر؟!

أم تلك أحيلة الهوى

دوي بها صوت العمر
أم ذاك طيف النور يبدو
في الطريق لمن عبر ؟

(يصمت الضمير لسمع الشاعر مطارحة هوى الحبيبين)

الشاب :

رجاء القلب أهواك
يمينا لست أنساك
فأنت اللحن والنور
ودنيانا ودنياك
وأنت المعبد الأسني
وعند الطهر معناك
أرتل فيه ألحاني
وأنشد فيه لقياك
وأسمع فيه أصدائي

وأصداء الهوى الشاكي
وأنت المعبد الأعلى
وعند القدس مثواك
فمنك الطهر والحسن
يمينا لست أنساك!

(الفتاة — وقد أغراها الحديث)

أحقا حبيبي أنك الآن غانمي

أم أنك طيف في الدجى قد بدا ليا ؟

أبعد الذي عانيت من حرقة النوى

وبعد الذي ذقنا أراك حيا ليا؟

الشاعر — (يسمع هذا فيضحك)

صبان في جنح الليالي يسهران

وغدا يكون القلب عنوان الهوان

يتساقبان من الكؤوس المترعه
هيا انعما بين المبادل والضعه
هيا انعما والليل منسدل الستور
بين المغاني والمباهج بالسرور !

(يسكت وقد سمع الشاب يعود للحديث)

الشاب:

تعالى إلى قصر منيف ومغنم
ومثوى رياش كي تطيبي وتنعمي
تعالى إلى قلب كبير وفاؤه
ومجد جدير بالحبیب المعظم

الشاعر – (مقاطعا) :

فهمت الآن ما قد غاب
عن فهمي وعن علمي

أخداع يطاردها
 بمعسول من السم ؟
 يمنيها بآمال
 تسيل بخمرة الاثم
 ويسلب طهرها الغالي
 ويسلمها إلي الهـم ؟
 سبـاك المال — وا أسف !
 وعند المال مصرعك
 أفريقي ! حاذري الذئب
 فبئس العار مضجعك !

الشاب — (يتم حديثه) :

ولو شئت آلاف القلوب ملكتها
 ولكن قلبي قادني لك فاعلمي !

تعالى

(الفتاة) :

سَاتِيك فاصبر يا حبيبي وجنتي
ومسكن روحي بالرحيق المختم

الشاب : إذن ...

الفتاة : ماذا ؟

الشاب :

هبيني بعض عطف
يزيل لواعج القلب المعاني !
وهاتي الكأس من فيك المفدى
أذق خمر السعادة والحنان

الفتاة (وقد سكرت) :

جسمي وروحي في الغرام وراحتي
خذني إليك فقد حرقت بلوعتي !

خذني إليك فان نفسي شارفت
هذا النعيم بلوعتي وبلهفتي

(يقبلها وتقبله، ويتبادلان العناق ثم ينصرفان)

الشاعر (في وحدة) :

يا للخداع ، ويا للؤم ، والدنس
يا للحياة وياللموت في الغلس !
تمضي الحياة تناديننا وتدفعنا
إلي الجحيم بشوق جد محتبس !

(ثم يمضي وهو ينشد) :

أيها القلب الذي عاف الهوى
كم قلوب تتهاوي للتراب
كم قلوب قد أمالتها الرياح
كم نفوس ولغت فيها الكلاب

بقشور العيش يلقي حتفه

فاقد العيش ، فيا هول المصاب !

(يترامى غناء البلبل إلي الشاعر فينشد مروحا عن نفسه) :

للمني حنا بلبل غني
في دجى الليل يبعث الحزنا
واسكب الأشجانا أرسل الألعانا
في دجى الليل وأذرع الافنانا
وانصر الحائر ألهم الشاعر
في دجى الليل ! وارث للساھر

* * *

المنظر الثاني

(بعد عام والفتاة تسير وحدها وئيدة الخطو في نفس الطريق)

الفتاة :

رباه إني قد سئمت حياتي
رباه إني ضعت في الغمرات
بالأمس أغراني الأثيم بماله
وبكاذب الأحلام والذات
فسكرت بالحلم اللذيذ ولم أفق
الاعلي صوت الشقاء العاتي
واليوم لا قصر ولا قلب ولا
زاد سوي الأناة والحسرات
ومن المصائب أن يببت منعما
وأنا طريدة هاته الطرقات
فلتشهد الدنيا علي إجرامه
وعلي الذي ألقاه من نكبات !

(ثم تقول وهي متذكرة) !

هذا هو الممشى الذي
كم فيه بالغ في خداعي
لم أستشر أهلي، وكيف
اليوم علموا اتضاعى؟ !
رحماك ربي ! لست أفـ
سوي في الحياة علي الصراع !

الشاعر (وقد خرج إلي الحقول كعادته يسمعها تحدث نفسها):
طريدة أقدار ومثوى جرائم
وموئل آهات وعدوي كرائم
تسير مع الآلام تشكو مصائبى
وغدر حبيب في نكاية ظالم

(ثم ينشد)

منذ عام قد رأت عيني فتاه
تنشد الحب ولا تدري أساه

تحت سمع الناس بل عين الإله
قد سبها بعض أوهام الحياة
قد سبها المال تاهت في رؤاه
وسبها العز في دنيا القساة
نال منها حظه أو مشتهاه
ثم طار اليوم عنها... من رآه ؟

حسب اللذة في قتل الفتاه !

الفتاه (وقد رأت شبح الشاعر) :

أري شبحا وسط الظلام فويلتا

أذلك بعض الأهلي ؟ ويلي من الأهل !

أري الموت يدعوني إليه ، وهكذا

يقربني يوم اللقاء من القتل !

الشاعر :

من ذا أري أفتاة شفها الألم
مذعورة تترامي حولها الرجم؟
ماذا أصابت من دنيا محجة
دنيا من الألم المكبوت تضطرم ؟

(الفتاة تبكي)

الشاعر : تبكين وأسفي !

الفتاة : أبكي

الشاعر : دعيه إذن

بل فاذر في الدمع، عل الجرح يلتئم

هل في فؤادك ما تخشين من فزع ؟

الفتاة . من أنت ؟ إني من الأرزاء أنهدم

الشاعر :

إني الطبيب الذي يشفي بمبضعه

جرح القلوب التي هيهات تندمل

قولي، أتخشين أمرا ؟ إنني رجل
يود لو خوفك المشنوء يرتحل !

الفتاة .

أخشي الأقارب والأصحاب مافتنوا
يفرون عظمي وعرضي فري منتقم !

(تبكي ثم تنشد)

أمشي فاحمل عارا ذائعا دنسا
والدهر يظلم والأيام تحتكم
كم قد بكيت لعل الله يغفر لي
وكم ندمت ، وما أجداني الندم
الشاعر (وقد نال منه حزنها وندمها) :

يا كون إنك لغز مخرس عجب
إن نسأل الناس عن أكنافه وجموا

كأنك الأبد المجهول قد عجزت
عنك النهي وأكفهرت حوك الظلم
هذي فتاة بفجر العمر نادمة
تبكي الليالي وتبكي فوقها السدم
هل تطلعين علي ماضيك أجمعه
فتي له - العمر - في درء الأسى قدم ؟

الفتاة (تبوح بسرها له) :

تراعي لي المال المخادع لحظة
فسرت وراء البرق تدفعني رجلي
وغرر بي ذاك المخادع برهة
ولكنني كنت السريعة في الوصل

وقال :

وقال : تعالي أنت قلبي وبغيتي

وأنت ضياء البدر في موهن الليل

فقلت له : دعنى أشاور إخوتي

وكل يفدي بالمودة والأهل

فقال : تعالي لا تطيلي وقوفنا

فيرقبنا العذال في ريبة القول

فإني تركت القصر خلسة مسرع

وألقيت من يأسى علي غاربي حبلي

وسرت أناجي الليل يجهدني السري

وبت أناجي الليل بالأعين النجل

أقلب طرفي في الظلام لعني

ألاقي رفيقا قد يهيم به مثلي

وجدتك في جنب الحقول كزهرة

تروع فؤاد الصب بالعطر والشكل

أنيلي فؤادي ما يرجى من المنى

فموتي خير من حياة علي بخل

وقمت له لما تبلبل خاطري

أعانقه في نشوة الخل للخل

وسرت وإياه لقصر مشيد

نسيت به ما يستعز به أهلي !

الشاعر (وقد تذكرت ما كان قد نسيه مما رآه في العام الماضي) :

منذ عام هنا سمعت النشيدا

كدت أنسي، وكان ذهني شرودا

وسمعت الخداع هذا بأذني

ألما لأذغا وحرنا مديدا !

ألم تكوني تقولين....

أحقا حبيبي انك الآن غانمي...

الفتاة (مرتمية علي قدميه) :

كنت أهذي وكنت بالحب سكري

فانتشلتني من وهدي واعف عني !

الشاعر (يفكر في أمرها وقد لمع في ذهنه خاطر ثم يقول:

سأقص رغم مصيبتني وبلاتي

غدر الحبيبة في الزمان النائي

هي قصة تدمي العيون لسمعتها

في ظلمة الأيام والانواء

أحببتها حب الوليد لأمه

رغما عن العذال والنصحاء

وفي الفؤاد لها وفاء عبادة

وأذاب روح الحب في أصدائي
أشدو بموسيقى الحياة ، ووحيتها
قيثارة هي علتي ودوائي
وأصخت للصوت الألهي الذي
يحيي قلبي ميت الاصداء
لا ألمح الظل الكئيب ولا أري
ما في قرار الهوة السوداء
حتى اصطدمت بصخرة من حبها
ما حيلتي في الصخرة الصماء ؟
غدرت بقلبي لم تقدر نبه
في حومة الآلام والأعباء
وقست علي قلبي الوفي وهكذا
لقي العقوق ولم يفز بولاء

الفتاة (وقد راعها أساه) :

ظلمتك ،لم تعطف عليك ، وانما
أصلتك ألوانا من البرحاء
وقست عليك كمجرم أو ظالم
كالنسر فوق القمة السماء

الفتاة (يروعها بكاء فتواسيه) :

لم ذا البكاء وقد تلاشي ظلما
ليس البكاء سجية الشعراء
أنظر إلي الشمس المضيئة هازئا
بالسحب ، بالأمطار ، بالأنواء !
وتمل من دنيا المشاعر حالما
غردا كطير حديقة غناء
يشدو بأنغام الحياة ولحنه
كالفجر في عين الأديب الرائي !
أسفي علي الشعر الجميل ووحيه

هذا الوداع لعالم الشعراء !

الفتاة : لا تلق هذا القول !

الشاعر : إني يائس !

الفتاة : أواه ! يا لسذاجة الشعراء !

من أجل غادرة تودع عالما

ولأنت زينة عالم وضاء

لا يعرف الشكوى الذليلة والبكا

وضراعة الأطفال والضعفاء

إلا غبي بالفناء مرشح

متعثر في الجهل والأهواء

أما الذي يجلو المفاتن كلها

في الفن فهو بعالم الأحياء

فاملاً حياتك بالمباهج والمني
وروائع الانغام والاصداء

الشاعر : لا بد أن أحيا بحب رائع !

الفتاة : قلبي فداك !

الشاعر : وهل يجيب دعائي ؟

الفتاة :

النور في قلبي وبين جوانحي
فعلام تخشي السير في الظلماء؟

الشاعر :

أخشي من الغدر الذي جربته
كم ذا أراه مقطعا أحشائي

الفتاة :

سأريق من عقلي وماء مواهبي
وأذيب من قلبي ضرام دمائي

وأود لو تنسي طويلا زلتي
حتى أريك محبتي ووفائي
سأظل أوحى في حياتك قوة
طول الحياة وما بقيت رجائي
حتى إذا خمدت حياتي وانقضي
عمرى وأخرست المنية تائي
وخبأ لهيب الكون في قلبي الذي
قد عاش مثل الشعلة الحمراء
سأذوب في فجر الجمال وأرتوي
من منهل الألحان والأضواء
وأبث فيك حرارتي وتبتلي
لتعيش رمز سعادة ووفاء !

خواطر الوحدة

طال ليلي تحت أضواء الشهب
دون جدوى، لم أجد غير التعب
ملأت قلبي تهاويل المنى
وحبتي طول هم ونصب
حدثتني أنها لي مؤنس
أي أنس لفؤاد مكتئب
حدثتني أن فيها سلوة
نعمت السلوة في ظل الشهب

* * *

يا خيالي أنت لي خير رفيق
يا خيالي أنت لي البر الحذب

يا خيالي أنت لي خير صديق
إن يكن عز الصديق المرتقب

* * *

قد قرأت اليوم سفرا جامعا
من نفوس الناس يحميها الحسب
فإذا الناس جميعا يستوي
منهم الوافي وذو القلب الخرب
قال قومي : تلك نفسي كذبت
قلت : كلا ! ليس فيها من كذب
هي نفس حرة إن نسيت
وكفاها شرفا ذاك النسب

* * *

يا أولي الحكمة من هذا الورى
ليست الحكمة في زيف الأدب
إنما الحكمة أن تمضوا إلي
أن تفكوا اليوم أَلغاز الحقب
ليس بالخالد من هاب اللظى
إنما الخالد من خاض اللهب
جن يا قوم عليكم أمركم
مثما جن الظلام المقترب

طال ليلى بين أشتات الكتب
لم يفدني ما حوته من أدب
أذبلت زهري وأجرت مدمعي
ونفت نومي ولم أدر السبب

فرقت ذهني فأضحى شعبا
ضل فكري بين هاتيك الشعب
ضاع عمري ضلة بين الورى
لم أحصل غير ألوان التعب
طعنوا في بعضهم ثم انثنوا
ليس يدري غالب ممن غلب

قد كرهت الصحب لم أحفل بهم
واجتوت نفسي لذات الطرب
وأقضى العمر في منعزلي
ليس لي من مؤنس غير الكتب

من وراء القبور

الأول

أيها الطارق في وادي الكرى
أيها الساري إلي أين السري ؟:
أقرب أنت منا يا تري
أم بعيد فوق هامات الذرا
يا قريب في احتجاب يا بعيد في اقتراب
أنت فيمن عاش أو فيمن قبر ؟
أيها الطارق : إنا من زمن
دارت الكأس علينا بالمحن
ورواء الحسن أضحى والكفن
مزقا طاحت بها أيدي الزمن

وعرانا ما عرانا ودهانا ما دهانا

مذرقدنا بين أطواء الحفر !

* * *

أيها الطارق ما ليل طال

في ظلام ليس يعروه الزوال ؟

هاهي الاحداث في سافي الرمال

فتحت أبوابها دون ملال

في اشتياق يضطرم واشتهاء ونهم

تراقب الداخل من هذا البشر !

* * *

(الثاني المجهول)

قد سمعت الآن صوتا ساعيا

مبهما كاللحن يمضي غافيا

هامسا كالشك يبدو طاغيا

زجلا كالطير يهفو ناغيا

فوق ماء النهر أو غصون الشجر

تحت نور الصبح أو ضوء القمر

أيها الصوت الذي يدعو الموات

ما الذي تبغيه من هذا الرفات ؟

من جسوم ثاويات آمنت

في قبور مظلمات موحشات؟

قد قلاها الساكنون أو غذاها النائون

من دموع كالجمان المنحدر

* * *

(الأول)

يا رفيقي وخذيني في الجوار

قد شفت منا الليالي والنهار

كأسها المر وأبدت للضرار
ناب ليث نائر أي منار
قد رمونا فبلينا وبلينا مذ رمينا
ضاق منا ذلك النهر الكدر !

* * *

ثم خبرني بحق يا صديقي
أين قومي؟ أين أهلي يا رفيقي؟
أين أصحابي وخلان الطريق
قد تركت الكل لهو طليق
لست أدري هل بقوا أم تراهم فرقوا
مثلما جمع ضوء وانتشر!؟
أين قصري؟ أين أملاكي ودوري؟
أين أمي وهي كالقلب الكسير؟

أين اخوان صفائي وسروري ؟
أين آمالي وأوقات حبوري ؟
أين كل الثروات ؟ قد طوتها الفلوات
أو طواها الدهر فيما قد قبر !

* * *

أين جندي الأقوياء الأمانء ؟
أين أعواني وصحبي الأوفياء ؟
أين أموالى ؟ لقد ضاعت هباء
وانمحت من بعدنا أي انمحاء
بيد الأقدار ضاعت بعد ما عزت وطالت
وسنبقى ها هنا تنعي الأثر !

* * *

(الثاني المجهول)

أيها الثاوي ويبغي حكما
ضل عنك الأمر واسمع : إننا
هاهنا من بعد أن حزنا الدنا
سوف نحيا ، دون فرق بيننا
في سهوم ووجوم وقبور ورسوم
يستوي الناس وساء المفتخر !

* * *

(الأول "محتدا")
عجبا من ذلك الغر الدعي
كيف يستهزئ بالمثري الغني !
أي جنودي : كبلوا هذا الغبي
وأذيقوه عذابي وهو حي
انه يهزأ منا انه يجهل أنا
خير هذا الكون بل خير البشر !

(الثاني "ساخرا")

أين أعوانك يا هذا المليك ؟

أين من كانوا دواما تابعيك ؟

أين من بالهمس كانوا سامعيك

قد تولي ركبهم إذ شيعوك

أنت في الأخرى، فحاذر لا تشاكس أو تكابر

أنت في قبر حقير مندثر !

* * *

(الأول " .. نادما وقد وعي حقيقة امره " :)

عفوك الشامل ، إني قد نسيت

لم أكن ادري، بأني قد بليت

وبهذا الجدث النائى طويت

والضياع الكثر أضحت كالشتيت

ضلة لي من غبي قد جفاني كل شي
وصحابي وركابي المنتظر !

* * *

كفكف الدمع ، ونفس عن أساه
وانس ما خلفت من عز وجاه
ودع الشكوى ، فما تجدي شكاه
بعد ما ودعت أطلال الحياة
نحن أبنا القبور نصطلي حتى النشور
حَرَ هَاتِيكَ الْخَفَايَا وَالْحُفَرَ

* * *

(الأول)

ومتي نخرج من هذي القبور
أومتي نبعث في يوم النشور ؟

كيف متنا ؟ كيف جننا للدثور
واستوينا من خفير أو أمير
وشروق أو أفول و صباح أو أصيل ؟
قد بد الصبح وذا برد السحر !

* * *

(الثاني)

أي رفيقي : لست أدري الجواب
لا، ولا ما السر في هذا العذاب ؟
مذ سلطنا في تجاويف اليباب
تحت هذا الصخر، في جوف التراب
لست أدري أي شان حط في هذا المكان
كان هذا بقضاء وقدر !

* * *

(الأول)

أو لا ندري جوابا عن سؤالي ؟
يا صديق الخير أو خذن الضلال
قد ثوينا هاهنا بين الرمال
نبتغي ما ضاع منا في الليالي
أتري أنت عرفت أتري أنت سمعت
ما يزيل الشك، أو يجلو الخبر ؟

* * *

(الثاني)

لست أدري في رحاب الموت من
مات بعدي ، أو تولي من زمن

كلنا نبكي ونشكو ذا الزمن
وهو من سخر بنا كاد يجن
كلنا نبكي الأساه كلنا نشكو الحياة
ربما كلنا أساري ذا القدر !

ربما كنا أساري ذا السكون
أو ضحايا الموت أو رب المنون
قد رمانا غيب الليل الحرون
فنسينا بين هاتيك الوكون
قد تركنا لن نعود نحو أبواب الخلود
دموع العين منا تبندر !

ها هنا مثوى الورى مثوى الأمم
ها هنا دار الأوالي من قدم
وإله الكون ، هذا المحتكم
سيدك الأرض، كي يحيي الرمم
وسواء من عصاه أو تغالي فى الصلاة
قد تساوي الكل في ركب القدر

حدثونا حينما يفنى الجسد
إننا نسأل ما من ذاك بد
عن ذنوب عند حصر لا تعد
يوم لا ينفع مال أو ولد
أو جنود أو عدد أو جلاذ أو حلد
غير من نجاه رب مقتدر

(الأول)

يا رفيقي بين طيات الرموس
هل يهود أنت أم مجوس ؟
طال فينا النأي والليل العبوس
في ظلام ليس تمحوه الشموس ؟
وأنا أبحث وحدي في حنين ليس يجدي
عن رجاء القلب عن موحى الفكر

(الثاني)

لا تسئل عما به مثلي يدين
إن ديني هو دين العالمين

ولكم عذبت في ماض السنين
ولقيت الويل في كل الشئون
ثم لم أكفر ولم أشك مما قد ألم
ويح نفسي، لا تثر هذي الذكر !

(الأول)

يا صديق الدهر يا خير صديق
لم أزل أدلج في هذي الطريق
ونذير الهول في كل مضيق
خفق القلب له أي خفوق
فأراني في الحياة لابسا ثوب الممات
بنس ما أجني ويا طول السفر !

أهواك

أهواك روحا من التحنان قد سكبت
في القلب والنفس، لا معني من البدن
أهواك فيضا من الإخلاص ليس به
إلا الخلود بما في الخلد من فتن
أهواك أهواك حتى ينتهي أجلي
أفديك أفديك بالغالي من الثمن !

طيور الربيع

طيور الربيع ألا خبرينا

علام الغناء ومن تنشدينا ؟

فقد هجت بالشجو منا القلوب

وأبكيت باللحن منا العيون

تعالى نبدد غيوم الهموم

فان الحزين يواسي الحزينا

أيها القلب

ألا أيها القلب الذي لج في الأسي

حنانا لنفس قد جفتها الأضالع

حنانا لروح قد تحطم من بكا

دهته المآسي أو دهته الزعازع

تسلي بشعر قد يهيجه الأسي

فلم يسلم أو يسليه شافع !

إلي الفنان

يا ساقى الروح من نبع يفيض هوى
نبع يفيض بما في الخلد من فتن
يا ساقى القلب بالآمال تسكبها
من رقة الروح لا من رقة البدن
تسمو بنا سماء ليس يدركها
إلاماك خلي القلب من إحن
هناك تمرح في الأجواء منطلقا
كالطير يشدو علي الأرواح والقنن
تظل ترسل شعرا ليس يسمعه
إلا خلائق من نجواك في وسن

وأنت تحيا حياة جد ناضرة
كنصرة القلب، في شرح الصبا الحسن

ياساقي الروح من كأس منمقة
في ضحوة العمر، أو في بهرة الزمن
جادت عليك غيوث الحب رائقة
كالمزن تبكي بدمعها ظل هتن
يا للخلود، ويا للحب من ملك
الفن فيه عزيز غير ممتهن
ياساقي الروح إن الروح أظماها
شوق إليك، وكم في الشوق من شجن !

بينى وبين الله

شكوت إلي إلهي سوء حالي
وما عانيت من عنت الليالي
وكم عانيت من ألم ممض
وكم قاسيت من محن طوال
وكم صافيت كل فتاة غدر
وكل فتى من الإحساس خال
وكم صابرت في شجو مميت
إلي أن كدت أعرثر بالملال
فما أجدي حياتي كل هذا
وضاع العمر في طلب المحال !

شكوت إلي إلهي سوء حظي

وما ألقاه من ماضي النضال

فقال : إلي واعتصمي بظلي

فعندي الخلد ممنوع المثال

وعندي كل ما ترجوه عين

وما تصبو إليه من الجمال

وعندي ما اشتهيت من الأمانى

وما أملت من كرم النوال

وعندي من نعيمك كل ضاف

وعندي من فنونك كل غال !

تعالى يا ابنة الحق وعيشى

هنا بين الطلاقة والكمال

وخلي العالم الأرضى فىما

يهىم به بأدوية الضلال

هل تذكرين ؟

إلى الأخت الوفية

هل تذكرين وقد تمتعنا بأوقات الهناء
والليل منسدل الستور علي خفوت للضياء
والروح تنهل من أفويق الشذا لحن الصفاء
والنفس تهزج كالوليد وقد تسمع للنداء ؟

هل تذكرين وقد نعمنا في الليالي الخالدات
فقضيتها أرنو تلك المحاسن والهبات
بين التساقى من حديث كالكؤوس المترعات
ونبت من أشواقنا ما في الصدور الحانيات ؟

هل تذكرين وقد وجدتك لوعة عند الهجوع

فتحت قلبي لارتشاف الدمع من نبع يضوع
ولو استطعت فتحت في صدري الحنايا والضلوع
وجعلت صدري معبدا لجمالك الأسنى الولوع

هل تذكرين وقد رجوتك أن تظلي موقفي
أسعي إليك بلهفة وتمعن وتلهف
والحب يخفق من حوالينا كروح مورف
والحظ يرمقني علي هذا النعيم ويختفي ؟

هل تذكرين وقد تناجينا بروح واحد
والهمس يقلقنا فنخشى خيفة من حاسد
حجبت حبك خلف مسمك النقي الزاهد
ويدي تداعب شعرك الأبوي بروعة عابد ؟

وتهامس القلبان رغما من مراقبة الحسود

فتبادلا شكوى الحياة وجددا ماضي العهود
وتصافحا عند العناق بلهفة الشوق المرود
كل يناجي إلهه بلباقة الحسن الودود ؟

وهفا فؤادي يشكر المولي عل هذا التدان
وترنم القلب المرح بين أحلام الجنان
وتململ العقل العتيد وقد تناساه البيان
وظللت أرجو متعة الأحلام في كنف الجنان ؟

هل تذكرين ليالي القلب الولوع المستهام
أضفي عليه البعد أودية التضرع والسقام
فعدا إلي قلب مشوق قد توله بالضرام
يبكي عليه بدمعه الحاني إذا حان المنام ؟

آه من الذكري ! حنانك أيها القلب الرعوم
في كل نبض للفؤاد تهيم بالقلب الهموم
فله خفوق الطير في يوم العواصف والغيوم
كم ذا اعاني حيرة بين البشاشة والوجوم !

صدى أحلامي

أحلامي هي أنفاسي

وأنفاسي هي مزيج من نور ونار

نار تصهر قلبي فيتمخض عن شتي الانفعالات الحساسة

فتفيض علي روحي معرفة وادراكا

ونور يبذل الظلام نورا ويكسو العراء بريقا

أحلامي هي معاني وجداني تواتيني من وراء الأبد

في شبه أشباح تستقر أمامي علي غير ارتقاب، وأطياف متنوعة

الصور وعلي اختلافها تمدني بروح العزاء إذا داهمني القضاء

لأستجمع قواي لأعاود الكفاح

وفي المخاوف أجرب الجرأة والإقدام لأتعلم كيف أكون

إذا احتاجت إلي الحياة

أحلامي هي أخيلى ولدت معي يوم ولدت، علمتني الضحك
والبكاء، وفتحت لي رتاج الفلسفة فتعلمت كيف أبكي وعلي
شفتي بسمه العزاء

أحلامي هي ظلي الوارف وحرارتي الدافقة وإيماني الاكيد
وعاطفتي العميقة الخرساء
أحلامي هي معين غذائي الروحي أستمد منه القوة والنشاط
أحلامي هي الشعلة المتقدة التي تهيب بي دائما إلي العمل
في سبيل الحب والأمن والسلام

أحلامي هي الحلقة التي تصل حياتي بحياة الفن وتقرب
بين ما أعرفه وما لا أعرفه

أحلامي هي خواطري التي استمد منها شفائي كلما قدم لي
الدهر جرعة من كأسه القتال

أحلامي هي شعري

وشعري

هو الحرارة التي تسري في كياني فتحبوني بالحياة وتشعرنني

بعظمة الوجود

شعري

هو همسات قلبي وظلال وجداني

شعري

هو مناغاة روعي عندما ترفرف بجناحيها الوضائين في العوالم

اللامحدودة لتمنحني أسرار الخلود فأحس بقلب أكبر من

قلب الوجود لو تجسم الوجود وصار قلبا

شعري : هو دمي

أنزفه من قلبي لا منحه العالم لحرارة الحياة

وهو ينزف في شبه قطرات تبدو علي الورق كلاما وطي كل

كلمة أكثر من معني ولكل معني حكاية صيغت من خلاصة

معادن أفكارني فتفيض علي الكون رحمة وسلاما

عندما ينصهر القلب تتساقط الدماء

تفيض حرارة نفس – تحكي أحلامي حكايتها

فتجاوب معها الحياة

هنا تترد الأحلام إلي صدري موسيقي والي الوجود صدي !

أتمنى

أتمنى

أن تكون السماء صافية لتهيب بي إلي الشدو فأحكي

نغما شجيا

وأتمنى

أن يكسو الضباب هذا الصفاء علي غير ارتقاب ليعمر

قلبي بالشجن فأبكي شجنا يمنح البؤساء عطفاً سمياً

وأتمنى

أن يظل قلبي دنيا حافلة بمفاتيح الأحلام لأسمع الكون

صدي الخلود النديا

وأتمنى

أن يظل صدري يبعث من لدنه أهازيج السحر ليهب

المكلومين برا أبا

وأتمني

أن أرقب الناس بمنظار قلبي فأضحك لهم وأبكي عليهم

وأتمني

أن أظل مجهولة في وادي النسيان لأجد في كنف الطبيعة

أجمل ما أطمع إليه من عزاء

وأتمني

أن يخفق قلبي بالحب ليعيش للانسانية

وأتمني

أن أظل كما أنا أحب الناس جميعا أمنحهم البر والرحمة

ولا أطلب جزاء

وأتمني

أن يكون شعار العالم الأمن والحب والسلام .

نقد وملاحظات

تلد لعشاق الأدب الإنجليزي المقارنة بين الشعارين الشابين كيتس وشيلي، وكيف كان كيتس يفتش عن الجمال الحسي ويخصه بأدبه وفنه ويرى مجال الشعر مقصورا على مجانيه، فكان هيامه به يرفعه على أجنحة الخيال مرة ويصدمه بأرض الواقع مرات، حينما شيلي يصرفه عن ذلك اشتغاله بالمسائل الإنسانية التي كانت تتسامى بكل شهواته.

وقد ذكرتني قراءتي لديوان (صدي أحلامي) بهذه المقارنة بين الشعارين، وأردت بادئ الأمر إن أضع الشاعرة في صف أحدهما غير أنني كنت استبعد هذه الفكرة كلما أمعنت في قراءة الديوان عندما يلوح أنه من العسير قصر مراميها الشعرية على أحد هذين المذهبين لأنها أقرب إلى تمثيلها مجتمعين، فالشاعرة - مع احتفاظها بشخصيتها في الاتجاه والأسلوب - تتسامى في ثورة، مثل تسامى الشاعر شيلي، حين تقول في قصيدتها "حب المحال":

لو أن ذاتك ما أروم وأبتغى=من كل قلب ما رجوت حبيبا
لكني أهوى الفنون لانها =تحيا بمشكاة الخلود لهيبا
وأظل أفتن بالمحال لأنه =روح الكمال، فهل عشقت عجيبا
وتجلى مثل هذه الروح المتمردة في تساميتها في قصائد
"الحيرة" و"السجينة" و"صدى أنفاسي" و"القصيدة المعنونة
بعلامة استفهام التي تقول فيها عن الدنيا :

وأظل أجهل شأنها=وأظل أسأل : ما لها ؟

ومن النماذج المثالية المتسامية قصيدة "يأس وأمل" التي تتحدث
فيها عن الدنيا بهذه العاطفة الإنسانية :

شفني الحزن الذي غشى الورى =وأحال الكون عندي كالقتام
كلما جلنت بعيني كي أرى =لم أجد إلا ظلاما في ظلام

والشاعرة مع ذلك لا تنسى مذهب كيتس في الافتتان بشتى
صور الجمال، ويظهر ذلك في لهفتها البادية في كثير من
قصائدها، وهى تبرز بصفه خاصة في قصيدة "هبنى" التي

تقول في مطلعها:

يا حارس النبع أن الروح ظامئة=ماذا عليك إذا رويت أنفاسي

وقصيدة (أمنيه فنانه) حيث تقول :

صاح أني شفني طول الألم =من فؤاد عاش في رعى الذمم

وصبا القلب إلى إلف يفي =مثلما وفي أمين بالقسم

ولصاحبة الديوان من شعر الحيرة نصيب كبير، وهذه نتيجة

طبيعة لشاعرة في مثل سنها وثقافتها بالنسبة للبيئة المصرية

وفي قصائد "الهائمة" و "إلى أين" و "الطير الهائم" نماذج من

هذه الروح يخفف من لوعتها ما تتجلى فيها من موسيقى

عذبة مستمدة من طبيعتها الغنائية، تأمل هذه الأبيات الرائعة:

لم أزل حيرى بوادي الظلمات =ويح نفسي من أعاجيب الأمل

أدفن الأحزان في قبر الموات =أسكب الأشجان في طي العلل

قد سمعت الطير يشدو ويبين =ورأيت البدر نوراً كاملاً

وسمعت الليل يشكو في أنين =ونظرت الضوء يسرى

هائلاً

قد سمعت الشاعر المسكين يبدو =في حنين وبكاء مستمر

ينظم الأشعار تمضى ثم تعدو =في فم الأكوان ترمى بالشرر

فهذا الشعر وما إليه فائض بالحيرة التي تتجاذبها الأخيلة
الشاردة ويسیغه كما أسلفت نغمه العذب الذي وهبتها الطبيعة
إياه في سحاء، وإذا كانت الحيرة طبيعة عند مثلها فان
الجرأة في التعبير ليست بالطبيعة لا في هذا الشعر ولا في
غيره لأن البيئة المصرية غير مستعدة للتسامح في الوقت
الحاضر، ولولا الوثبات الحرة التي قامت بها (جمعية أبولو)
ومجلتها لما ظهرت للشاعرة مثل هذه الشجاعة في الإفصاح
عن عواطفها، ولما أخرجت لنا ملحماتها الصاخبة الحائرة "من
وراء القبور" التي تمتاز بصفاء الديباجة إلى جانب الروح
الموسيقية الجميلة، وهي على هيئة حوار فلسفي بين ميت
جديد وميت قديم، وهذا مثال منها :

قد سمعت الآن صوتا ساعيا=مبهما كاللحن يمضى غافيا
هامسا كالشك يبدو طاغيا =زجلا كالطير يهفو ناغيا

فوق ماء النهر =أو غصن الشجر

تحت نرو الصبح أو ضوء القمر

أيها الصوت الذي يدعو الموت =ما الذي تبغية من هذا الرفات

من جسوم ثاويات آمنات =في قبور مظلمان موحشات
قد قلاها الساكنون =أو غذاها النائمون
من دموع كالجمان المنحدر؟

أما الأقصوصة الشعرية "الحب الأكيد وليد الألم" فهي إلى جانب
دلالتها على المقدرة الفنية نموذج لصدق الاحساس و
الاخلاص في التعبير الحر عن الآلام الجنسية التي تعانيها
الفتاة والحلول السيكولوجية التي يقترحها عليها عقلها الباطن

أشرت في مقدمة هذه الكلمة إلى إن الشاعرة تكاد تجمع بين
مذهبي شيلي وكيتس في روحها وان استقلت بشخصيتها في
الأسلوب وطريقه التعبير، أما أسلوبها فمن النوع الذي يسميه
أدباء الانجليز (**INSUBSTANTIAL STYLE**)أي
الأسلوب الأثيري الذي كثيرا ما يتجلى فيه شغفها بالرمزية .
وكانما الرمزية هي التي تستطيع إن تسعفها في تسجيل
خواطرها ومعانيها البعيدة.

وبعد - فاذا كان (الجمعية أبوللو) فخر إظهار هذه الباكورة
الغالية للشاعرة الموهوبة جميلة العلايلي فان من حظ(جماعة
الأدب المصري) في الاسكندرية أن تساهم في التنويه بأديها
والتبشير بمواهبها الفنية، .

على محمد البحر اوي

سكرتير جماعة الأدب المصري

الاسكندرية في 2 سبتمبر سنة 1936

فهرس

الموضوع

صفحة

تصدير

(1)

اهداء الديوان

1

تحية الفاروق

2

إلى أمي

3

حب المحال

6

الحيرة

8

السجينة

9

الحلم الرائع

13

صدي أنفاسي

19

تحية القمر

20

....؟

22

الحسناء البائسة

23

عتاب

27

إلى ناسية

33

الربيع

34

الأمل

35

هبني

36

أمنية فنانة

37

الطير الهائم

41

خاطرة

44

الروح الظامئ

47

الساحر

49

علي شاطئ أسوان

51

الهائمة

56

يا كنار

63

الطير الشاكي

66

إلي أين ؟

70

يأس وأمل

74

الحب الأكيد (أقصوصة شعرية)

78

خواطر الوحدة

103

من وراء القبور

106

أهواك

120

طيور الربيع

120

أيها القلب

121

إلي الفنان

122

بيني وبين الله

124

هل تذكرين؟

127

صدي أحلامي (شعر منثور)

131

أتمني (شعر منثور)

135

نقد وملاحظات

137

